« دراسات في العقيدة »



في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

الإمام شيخ الإسلام

الحافظ ابن حجر العسقلاني



١٤ صفية زغلول القاهرة ت ٣٥٥٣٨٣٨

مكتبة التراث الإسلامي
القاهرة
عبد الله حجاج
ت ٣٥٥٣٨٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح الباري شرح صحيح البخارى :

الرؤيا : هى ما يراه الشخص فى منامه ، وهى بوزن فُعْلى ، وقد تسهل الهمزة .

وقال الوحدى :

هى فى الأَصل مصدر كاليسرى ، فلما جعلت إسماً لما يتخيله النائم أُجريت مجرى الأَسماء .

قال الراغب :

والرؤية بالهاء : إدراك المرء بحاسة البصر ، وتطلق على ما يدرك بالتخيل نحو : أرى أَن زيدًا مسافر ، وعلى التفكير النظرى نحو : (إنى أَرى مالا تروْن) (١) ، وعلى الرأى : وهو اعتقاد أَحد النقيضين على غلبة الظن . انتهى .

---

(١) الأنفال : ٤٨ .

وقال القرطبي فى « المفهم » :

قال بعض العلماءِ : قد تجيءُ الرؤْية بمعنى الرؤيا كقوله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أَريناك إلا فتنة للناس) (١) ، فزعم أَن المراد بها : ما رآه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإِسراءِ من العجائب . وكان الإِسراءُ جميعه فى اليقظة .

قلت : وعكسه بعضهم ، فزعم أَنه حجة لمن قال : إنَّ الإِسراءَ كان منامًا ، والأَول المعتمد [كما سيأْتى] فى تفسير سورة الإِسراءِ وقول ابن عباس : إنها رؤْيا عين . ويحتمل أَن تكون الحكمة فى تسمية ذلك رؤيا ، لكون أُمور الغيب مخالفة لرؤْيا الشهادة ، فأَشبهت ما فى المنام (٢).

وقال القاضى أَبو بكر بن العربى :

الرؤْيا : إدراكات علقها الله تعالى فى قلب العبد على يدى ملك أَو شيطان ، إما بأَسمائها أَى حقيقتها ،

---

(١) الإسراء : ٦٠ .

(٢) راجع كتاب الإسراء والمعراج لابن حجر العسقلانى وكتاب الإسراء والمعراج لابن كثير من منشورات مكتبة التراث الإسلامى .

وإما بكناها أى بعبارتها ، وإما تخليط . ونظيرها فى اليقظة الخواطر . فإنها قد تأتى على نسق فى قصة ، وقد تأتى مسترسلة غير محصلة . هذا حاصل قول الأُستاذ أَبى إسحاق .

قال : وذهب القاضى أَبو بكر بن الطيب إلى أَنها : اعتقادات ، واحتج بأَن الرائى قد يرى نفسه بهيمة أَو طائراً مثلاً ، وليس هذا إدراكاً ، فوجب أَن يكون اعتقاداً ، لأَن الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد .

قال ابن العربى :

والأَول أَولى ، والذى يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل ، فالإدراك إنما يتعلق به لا بأَصل الذات . انتهى ملخصاً .

وقال المازرى :

كثر كلام الناس فى حقيقة الرؤيا ، وقال فيها غير الإسلاميين أَقاويل كثيرة منكرة ، لأَنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان ،

وهم لا يصدقون بالسمع ، فاضطربت أَقوالهم . فمن ينتمى إلى الطب ينسب جميع الرؤيا إلى الاخلاط فيقول : من غلب عليه البلغم رأَى أَنه يسبح فى الماءِ ، ونحو ذلك ، لمناسبة الماءِ طبيعة البلغم . ومن غلبت عليه الصفراءَ رأَى النيران والصعود فى الجو . . وهكذا إلى آخـــره .

وهذا وإِن جوزه العقل ، وجاز أَن يجرى الله العادة به ، لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة ، والقطع فى موضع التجويز غلط .

ومن ينتمى إلى الفلسفة يقول : إِن صور ما يجرى فى الأَرض ، هى فى العالم العلوى كالنقوش ، فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها .

وقال : وهذا أَشد فسادًا من الأَول ، لكونه تحكمًا لا برهان عليه ، والانتقاش من صفات الأَجسام ، وأَكثر ما يجرى فى العالم العلوى الأَعراض ، والأَعراض لا ينتقش فيها .

قال : والصحيح ما عليه أَهل السُّنة : أَن الله يخلق فى قلب النائم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان ، فإِذا خلقها ، فكأَنه جعلها علمًا على أُمور أُخرى يخلقها فى ثانى الحال . ومهما وقع منها على خلاف المعتقد ، فهو يقع لليقظان . ونظيره أَن الله خلق الغيم علامة على المطر ، وقد يتخلف . وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يَسُر ، أَو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يَضُر ، والعلم عند الله تعالى .

وقال القرطبي :

سبب تخليط غير الشرعيين إعراضهم عما جاءَت به الأَنبياء من الطريق المستقيم . وبيان ذلك أَن الرؤيا إنما هى إدراكات النفس ، وقد غُيِّبَ عنا علم حقيقتها - أَى النفس - ، وإذا كان كذلك فالأَولى أَن لا نعلم علم إدراكاتها ، بل كثير مما انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنما نعلم منه أُمور جميلة لا تفصيله .

ونقل القرطبي فى « المفهم » عن بعض أهل العلم :

إن لله ملكاً يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم ، فيمثل له صورة محسوسة ، فتارة تكون أمثلة موافقة لما يقع فى الوجود ، وتارة تكون أمثلة لمعادن معقولة ، وتكون فى الحالين مبشرة ومنذرة .

قال : ويحتاج فيما نقله عن الملك إلى توقيف من الشرع ، وإلا فجائز أن يخلق الله تلك المثالات من غير ملك .

قال : وقيل : إن الرؤيا إدراك أمثلة منضبطة فى التخيل جعلها الله أعلاماً على ما كان أو ما يكون .

وقال القاضى عياض :

اختلف فى النائم المستغرق ، فقيل : لا تصح رؤياه ولا ضرب المثل له ، لأن هذا لا يدرك شيئاً مع استغراق أجزاء قلبه ، لأن النوم يُخرج الحى عن صفات التمييز والظن والتخيل ، كما يخرجه عن صفة العلم . وقال آخرون : بل يصح للنائم مع استغراق

أَجزاءَ قلبه بالنوم أَن يكون ظاناً ومتخيلاً ، وأَما العلم فلا ، لأَن النوم آفة تمنع حصول الاعتقادات الصحيحه . نعم ، إِن كان بعض أَجزاء قلبه لم يخل فيه النوم فيصح ، وبه يضرب المثل ، وبه يرى ما يتخيله ، ولا تكليف عليه حينئذ ، لأَن رؤياه ليست على حقيقة وجود العلم ولا صحة التمييز . وإِنما بقيت فيه بقية يدرك بها ضرب المثل .

وأَيده القرطبي بأَن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام عينه ولا ينام قلبه . ومن ثم احترز القائل بقوله : « المدرك » من النائم ، ولذا قال : « منضبطة فى التخيل » ، لأَن الرائى لا يرى فى منامه إِلا من نوع ما يدركه فى اليقظة بحسه ، إِلا أَن التخيلات قد تركب فى النوم تركيباً يحمل به صورة لا عهد له بها ، يكون علماً على أَمر نادر ، كمن رأَى رأس إِنسان على جسد فرس له جناحان مثلاً . وأَشار بقوله : « أَعلامًا » ، إِلى الرؤيا الصحيحة المنتظمة الواقعة على شروطها .

وأَما الحديث الذى أَخرجه الحاكم والعقيلى من رواية محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أَبيه قال :

لقى عمر علياً فقال : يا أَبا الحسن ، الرجل يرى الرؤيا ، فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب ؟ قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما من عبد ولا أَمَةٍ ينام فيمتلىء نوماً إلا تخرج روحه إلى العرش ، فالذى لا يستيقظ دون العرش ، فتلك الرؤيا التى تصدق ، والذى يستيقظ دون العرش ، فتلك الرؤيا التى تكذب » .

قال الذهبى فى « تلخيصه » :

هذا حديث منكر لم يصححه المؤلف . ولعل الآفة من الراوى عن ابن عجلان . قلت : هو « أَزهر بن عبد الله الأُزدى الخراسانى » ، ذكره العقيلى فى « ترجمته » وقال : إنه غير محفوظ .

ثم ذكره من طريق أخرى عن إسرائيل عن أَبى

إسحاق عن الحارث عن على ببعضه . وذكر فيه اختلافاً في وقفه ورفعه .

وذكر ابن القيم حديثاً مرفوعًا غير معزو : « إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه فى المنام » . ووُجِدَ الحديث المذكور فى « نوادر الأُصول » للترمذى ، من حديث عبادة بن الصامت ، أَخرجه فى الأَصل الثامن والسبعين ، وهو من روايته عن شيخه عمر بن أَبى عمر ، وهو واه وفى سنده جنيد .

قال ابن ميمون :

عن حمزة بن الزبير عن عبادة ، قال الحكيم : قال بعض أَهل التفسير فى قوله تعالى :

(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) (١) :

أَى فى المنام ، ورؤيا الأَنبياءِ وحى بخلاف غيرهم . فالوحى لا يدخله خلل لأَنه محروس ، بخلاف رؤيا غير الأَنبياءِ ، فإنها قد يحضرها الشيطان .

---

(١) الشورى : ٥١ .

وقال الحكيم أيضاً :

وَكل الله بالرؤيا ملكاً اطلع على أَحوال بنى آدم من اللوح المحفوظ ، فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلاً ، فإذا نام مثَل تلك الأَشياءَ على طريق الحكمة ، لتكون له بشرى أَو نذارة أَو معاتبة . والآدمى قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما ، فهو يكيده بكل وجه ، ويريد إفساد أَموره بكل طريق ، فيلبس عليه رؤياه ، إما بتغليطه فيها ، وإما بغفلته عنها . ثم جميع المرائى تنحصر على قسمين :

١ — الصادقة :

وهى رؤيا الأَنبياء ومن تبعهم من الصالحين ، وقد تقع لغيرهم بندور ، وهى التى تقع فى اليقظة على وفق ما وقعت فى النوم .

٢ — والأضغاث :

وهى لا تنذر بشىء وهى أَنـواع :

الأَول : تلاعب الشيطان ليحزنَ الرائى ، كأَن

يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه ، أو رأى أنه واقع فى هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك .

الثانى : أن يرى أن بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلاً ونحوه من المحال عقلاً .

الثالث : أن يرى ما تتحدث به نفسه فى اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو فى المنام ، وكذا رؤية ما جرت به عادته فى اليقظة ، أو ما يغلب على مزاجه ، ويقع عن المستقبل غالباً وعن الحال كثيراً ، وعن الماضى قليلاً .

* * *

ترجم البخارى رحمه الله لذلك بباب رؤيا الصالحين وقوله تعالى :

« لقد صدق اللهُ رسولَهُ الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاءَ الله آمنين مُحلِّقين رؤوسكم ومقصِّرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » (١) .

وأخرج عن أَنس بن مالك أَن رسول الله ~~صلى الله~~ صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأَربعين جزءاً من النبوة » .

وأَخرجه عن عبادة بن الصامت وأَبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأَربعين جزءاً من النبوة »

---

(١) الفتح : ٢٧ .

وأخرجه عن أبي سعيد الخدرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

قال الحافظ رحمه الله :

قوله : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح » يقيد ما أطلق فى غير هذه الرواية ، كقوله : « رؤيا المؤمن جزء . . . » ولم يقيدها بكونها حسنة ولا بأن رائيها صالح . ووقع فى حديث أبى سعيد : « الرؤيا الصالحة » وهو تفسير المراد بالحسنة هنا .

قال المهلب :

المراد غالب رؤيا الصالحين ، وإلا فالصالح قد يرى الأضغاث ، ولكنه نادر ، لقلة تمكن الشيطان منهم ، بخلاف عكسهم ، فإن الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم . قال : فالناس على هذا ثلاث درجات :

١ - الأنبياء :

ورؤياهم كلها صدق ، وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير .

٢ - والصالحون :

والأغلب على رؤياهم الصدق ، وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير .

٣ - ومن عداهم :

يقع فى رؤياهم الصدق والأضغاث ، وهى على ثلاثة أقسام :

(الأول) مستورون :

فالغالب استواء الحال فى حقهم .

(الثانى) فسقة :

والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق .

(الثالث) كفار :

ويندر فى رؤياهم الصدق جداً . ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً » . أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار ، كما فى رؤيا صاحِبَىْ السجن مع يوسف عليه السلام ، ورؤيا ملكهما وغير ذلك .

وقال القاضى أَبو بكر بن العربى :

رؤيا المؤمن الصالح هى التى تنسب إلى أَجزاء النبوة ، ومعنى صلاحها : استقامتها وانتظامها . قال : وعندى أَن رؤيا الفاسق لا تعد فى أَجزاء النبوة ، وقيل : تُعد من أَقصى الأَجزاء . وأَما رؤيا الكافر فلا تُعد أَصلاً .

وقال القرطبى :

المسلم الصادق الصالح هو الذى يناسب حاله حال الأَنبياء ، فأُكرم بنوع مما أَكرم به الأَنبياء ، وهو الاطلاع على الغيب . وأَما الكافر والفاسق والمخلِّط فلا ، ولو صدقت رؤياهم أَحياناً فذاك كما قد يصدق الكذوب وليس كل من حدث عن غيب يكون خبره من أَجزاء النبوة ، كالكاهن والمنجم .

ولمسلم من حديث أَبى هريرة : « جزء من خمسة وأَربعين » أَخرجه من طريق أَيوب عن محمد بن

سيرين عنه . ووقع عند مسلم أَيضاً من حديث ابن عمر : « جزء من سبعين جزءاً » . وكذا أَخرجه ابن أَبى شيبة عن ابن مسعود موقوفاً . وأَخرجه الطبرانى من وجه آخر عنه مرفوعاً .

وله من وجه آخر عنه : « جزء من ستة وسبعين » وسندها ضعيف . وأَخرجه ابن أَبى شيبة أَيضاً من رواية حصين عن أَبى صالح عن أَبى هريرة موقوفاً كذلك . وأَخرجه أَحمد مرفوعاً . لكن أَخرجه مسلم من رواية الأَعمش عن أَبى صالح كالجادة . ولابن ماجه مثل حديث ابن عمر مرفوعاً وسنده لين . وعند أَحمد والبزار عن ابن عباس بمثله وسنده جيد .

وأَخرج ابن عبد البر من طريق عبد العزيز بن المختار ، عن ثابت عن أَنس مرفوعاً : « جزء من ستة وعشرين » والمحفوظ من هذا الوجه كالجادة . . وأَخرج أَحمد وأَبو يعلى والطبرى فى « تهذيب الآثار » من طريق الأَعرج عن سليمان بن غرِيب – بمهملة وزن عظيم –

عن أَبى هريرة : كالجادة . قال سليمان : فذكرته لابن عباس فقال : « جزء من خمسين » فقلت سمعت أَبا هريرة . فقال ابن عباس : فإِنى سمعت العباس ابن عبد المطلب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الصالحة من المؤمن جزء من خمسين جزءاً من النبوة » .

وللترمذى والطبرى من حديث أَبى رزين والعقيلى : « جزءٌ من أَربعين » . وأَخرجه الترمذى من وجه آخر كالجادة . وأَخرجه الطبرى من وجه آخر عن ابن عباس : « أَربعين » . وللطبرى من حديث عبادة : « جزء من أَربعة وأَربعين » ، والمحفوظ عن عبادة كالجادة كما (تقدم) .

وأَخرج الطبرى وأَحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : « جزء من تسعة وأَربعين » . وذكره القرطبى فى « المفهم » بلفظ « سبعة » بتقديم السين . فحصلنا من هذه الروايات على عشرة أَوجه أَقلها :

« جزء من ستة وعشرين » وأكثرها « من ستة وسبعين وبين ذلك : « أَربعين » و « أَربعة وأَربعين » و « خمسة وأَربعين » و « سبعة وأَربعين » و « تسعة وأربعين » و « خمسين » و « سبعين » . أَصحها مطلقاً الأَول ويليه « السبعين » .

وقد استشكل كون الرؤيا جزءاً من النبوة مع أَن النبوة انقطعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل فى الجواب : إن وقعت الرؤيا من النبي صلى الله عليه وسلم فهى جزء من أَجزاء النبوة حقيقة ، وإن وقعت من غير النبي فهى جزء من أَجزاء النبوة على سبيل المجاز .

وقال الخطابى :

معناه أَن الرؤيا تجيءُ على موافقة النبوة لا أَنها جزء باق من النبوة .

وقيل : المعنى أَنها جزء من علم النبوة لأَن النبوة وإن انقطعت فعلمها باق .

وتعقب بقول مالك فيما حكاه ابن عبد البر : أَنه

سئل : أَيعبر الرؤيا كل أَحد ؟ فقال : أَبالنبوة يلعب ؟! ثم قال : الرؤيا جزء من النبوة ، فلا يلعب بالنبوة .
والجواب : أَنه لم يرد أَنها نبوة باقية ، وإنما أَراد أَنها لما أَشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغى أَن يتكلم فيها بغير علم .

قال ابن بطال :

كون الرؤيا جزءاً من أَجزاءِ النبوة مما يستعظم ، ولو كانت جزءاً من أَلف جزء . فيمكن أَن يقال : إن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباءِ : وهو الإعلام لغة ، فعلى هذا ، فالمعنى أَن الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب فيه ، كما أَن معنى النبوة نبأٌ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب ، فشابهت الرؤيا النبوة فى صدق الخبر .

وقال المازرى :

يحتمل أَن يراد بالنبوة فى هذا الحديث الخبر بالغيب لا غير ، وإن كان يتبع ذاك إنذار أَو تبشير ، فالخبر بالغيب أَحد ثمرات النبوة ، وهو غير مقصود لذاته لأَنه يصح أَن يبعث نبى يقرر الشرع ويبين

الأَحكام وإِن لم يخبر فى طول عمره بغيب ولا يكون ذلك قادحاً فى نبوته ولا مبطلاً للمقصود منها . والخبر بالغيب من النبى لا يكون إلا صدقاً ولا يقع إلا حقاً . وأما خصوص العدد فهو مما أَطلع الله عليه نبيه ، لأَنه يعلم من حقائق النبوة مالا يعلمه غيره . قال : وقد سبق بهذا الجواب جماعة لكنهم لم يكشفوه ولم يحققوه.

وقال القاضى أَبو بكر بن العربى :

أَجزاءُ النبوة لا يعلم حقيقتها إلا ملك أَو نبى ، وإنما القدر الذى أَراده النبى صلى الله عليه وسلم أَن يبين أَن الرؤيا جزءُ من أَجزاءِ النبوة فى الجملة لأَن فيها اطلاعاً على الغيب من وجه ما ، وأَما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة . . وقال المازرى : لا يلزم العالم أَن يعرف كل شيءٍ جملة وتفصيلاً ، وهذا من هذا القبيل .

وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وأَبدى لها مناسبة ، فنقل ابن بطال عن أَبى سعيد السفاقسى :

أَن بعض أَهل العلم ذكر أَن الله أَوحى إلى نبيه فى المنام ستة أَشهر ، ثم أُوحى إليه بعد ذلك فى اليقظة بقية مدة حياته ، ونسبتها من الوحى فى المنام جزء من ستة وأَربعين جزءاً ، لأَنه عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح .

وقال ابن بطال :

هذا التأويل يفسد من وجهين :

أَحدهما : أَنه قد اختلف فى قدر المدة التى بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى موته .

والثانى : أَنه يبقى حديث السبعين جزءاً بغير معنى .
قلت : ويضاف إليه بقية الأَعداد الواقعة .

وقد سبقه الخطابى إلى إنكار هذه المناسبة فقال : كان بعض أَهل العلم يقول فى تأويل العدد قولاً لا يكاد يتحقق ، وذلك أَنه صلى الله عليه وسلم أَقام بعد الوحى ثلاثاً وعشرين سنة ، وكان يوحى إليه فى منامه ستة أَشهر ، وهى نصف سنة ، فهى جزء من ستة وأَربعين جزءاً من النبوة .

قال الخطابى :

وهذا وإن كان وجهاً تحتمله قسمة الحساب والعدد ، فأَول ما يجب على من قاله أَن يثبت بما ادعاه خبراً ، ولم يسمع فيه أَثر ولا ذكر مدعيه فى ذلك خبراً . فكأَنه قاله على سبيل الظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئاً ، ولئن كانت هذه المدة محسوبة من أَجزاء النبوة على ما ذهب إليه ، فليلحق بها سائر الأَوقات التى كان يوحى إليه فيها فى منامه فى طول المدة ، كما ثبت ذلك عنه فى أَحاديث كثيرة جليلة القدر ، والرؤيا فى أُحُد ، وفى دخول مكة ، فإِنه يتلفق من ذلك مدة أُخرى وتزاد فى الحساب فتبطل القسمة التى ذكرها .

قال : فدل ذلك على ضعف ما تأَوله المذكور ، وليس كل ما خفى علينا علمه لا يلزمنا حجته ، كأَعداد الركعات وأَيام الصيام ورمى الجمار ، فإِنا لا نصل من علمها إلى أَمر يوجب حصرها تحت أَعدادها ، ولم يقدح ذلك فى موجب اعتقادنا للزومها . وهو كقوله فى حديث آخر : « الهَدْىِ الصالح والسمت

الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة » ، فإن تفصيل العدد وحصر النبوة متعذر ، وإنما فيه أن هاتين الخصلتين من جملة هَدْى الأنبياءِ وَسمتهم ، فكذلك معنى حديث الباب المراد به تحقيق أَمر الروَيا وأَنها مما كان الأَنبياءُ عليه ، وأَنها جزء من أَجزاءِ العلم الذى كان يأتيهم ، والأَنباءِ التى كان ينزل بها الوحى عليهم .

وقد قبل جماعة من الأَئمة المناسبة المذكورة وأَجابوا عما أَورده الخطابى . أَما الدليل على كون الرؤيا كانت ستة أَشهر ، فهو أَن ابتداءَ الوحى كان على رأس الأَربعين من عمره صلى الله عليه وسلم كما جزم به ابن إسحاق وغيره ، وذلك فى ربيع الأَول ، ونزول إليه وهو بغار حراء كان فى رمضان وبينهما ستة أَشهر .

وفى هذا الجواب نظر ، لأَنه على تقدير تسليمه ، ليس فيه تصريح بالرؤيا . وقد قال النووى : لم يثبت أَن زمن الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم كان

ستة أَشهر ، وأَما ما أَلزمه به من تلفيق أَوقات المرائى وضمها إلى المدة ، فإن المراد وحى المنام المتتابع . وأَما ما وقع منه فى غضون وحى اليقظة فهو يسير بالنسبة إلى وحى اليقظة ، فهو مغمور فى جانب وحى اليقظة ، فلم يعتبر بمدته . وهو نظير ما اعتمدوه فى نزول الوحى ، وقد أَطبقوا على تقسيم النزول إلى مكى ومدنى قطعاً . فالمكى : ما نزل قبل الهجرة ولو وقع بغيرها مثلاً كالطائف ونخلة ، والمدنى : ما نزل بعد الهجرة ولو وقع وهو بغيرها كما فى الغزوات وسفر الحج والعمرة حتى مكة .

قلت : وهو اعتذار مقبول . ويمكن الجواب عن اختلاف الأَعداد ، أَنه وقع بحسب الوقت الذى حدَّث فيه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، كأَن يكون لما أَكمل ثلاث عشرة سنة بعد مجىءِ الوحى إليه حدَّث بأَن الرؤيا « جزء من ستة وعشرين » إن ثبت الخبر بذلك ، وذلك وقت الهجرة ، ولما أَكمل عشرين حدَّث بـ « أَربعين » ، ولما أَكمل اثنين وعشرين حدث بـ « أَربعة وأَربعين » ثم بعدها بـ « خمسة وأَربعين » ثم

حدَّث بـ « ستة وأَربعين » فى آخر حياته . وأَما ما عدا ذلك من الروٌيات بعد الأَربعين فضعيف ، ورواية « الخمسين » يحتمل أَن تكون لجبر الكسر ، ورواية السبعين للمبالغة ، وما عدا ذلك لم يثبت ، وهذه مناسبة لم أَر من تعرض لها .

ووقع فى بعض الشروح مناسبة للسبعين ظاهرة التكلف ، وهى أَنه صلى الله عليه وسلم قال فى الحديث الذى أَخرجه أَحمد وغيره : « أَنا بشارة عيسى ودعوة إبراهيم ورأَت أُمى نوراً » ، فهذه ثلاثة أَشياء تضرب فى مدة نبوته وهى ثلاثة وعشرون سنة تضاف إلى أَصل الروٌيا فتبلغ سبعين .

قلت : ويبقى فى أَصل المناسبة إشكال آخر ، وهو أَن المتبادر من الحديث إرادة تعظيم روٌيا المؤمن الصالح ، والمناسبة المذكورة تقتضى قصر الخبر على صورة ما اتفق لنبينا صلى الله عليه وسلم ، كأَنه قيل : كانت المدة التى أَوحى الله إلى نبينا فيها فى المنام

جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من المدة التى أوحى الله إليها فى اليقظة ، ولا يلزم من ذلك أن كل رؤيا لكل صالح تكون كذلك ، ويؤيد إرادة التعميم الذى ذكره الخطابى فى الهَدْى والسَّمْت ، فإنه ليس خاصاً بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم أصلاً .

وقد أنكر الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة التأويل المذكور فقال : ليس فيه كبير فائدة ، ولا ينبغى أن يحمل كلام المؤيد بالفصاحة والبلاغة على هذا المعنى ، ولعل قائله أراد أن يجعل بين النبوة والرؤيا نوع مناسبة فقط ، ويعكر عليه الاختلاف فى عدد الأجزاء .

وقد أبدى غير الخطابى المناسبة باختلاف الروايات فى العدد المذكور ، وقد جمع بينها جماعة أولهم الطبرى فقال : رواية « السبعين » عامة فى كل رؤيا صادقة من كل مسلم ، ورواية « الأربعين » خاصة بالمؤمن الصادق الصالح ، وأما ما بين ذلك فالبنسبة لأحوال المؤمنين .

وقال ابن بطال :

أَما الاختلاف فى العدد قلة وكثرة فأَصح ما ورد فيها : « من ستة وأَربعين » و « من سبعين » وما بين ذلك من أَحاديث الشيوخ . وقد وجدنا الرؤيا تنقسم قسمين :

١ - جلية ظاهرة : كمن رأى فى المنام أَنه يعطى تمراً فأُعطى تمراً مثله فى اليقظة ، فهذا القسم لا إغراب فى تأويلها ولا رمز فى تفسيرها .

٢ - ومرموزة بعيدة المرام : فهذا القسم لا يقوم به حتى يعبره إلا حاذق ، لبعد ضرب المثل فيه . فيمكن أَن هذا من السبعين والأَول من الستة والأَربعين .

لأَنه إذا قلَّت الأَجزاءُ كانت الرؤيا أَقرب إلى الصدق وأَسلم من وقوع الغلط فى تأويلها : بخلاف ما إذا كثرت . قال : وقد عرضت هذا الجواب على جماعة فحسنوه ، وزادنى بعضهم فيه : أَن النبوة على مثل هذين الوصفين تلقاها الشارع عن جبريل ، فقد أَخبر أَنه كان يأتيه الوحى مرة فيكلمه بكلام فيعيه

بغير كلفة ، ومرة يلقى إليه جملاً وجوامع يشتد عليه حملها حتى تأخذه الرُّحَضاءُ وينحدر منه العرق ، ثم يطلعه الله على بيان ما ألقى عليه منها .

ولخصه المازرى فقال :

قيل إن المنامات دلالات منها ما هو جلى ومنها ما هو خفى ، فالأقل فى العدد هو الجلى ، والأكثر فى العدد هو الخفى ، وما بين ذلك .

وقال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة ما حاصله :

أن النبوة جاءت بالأمور الواضحة ، وفى بعضها ما يكون فيه إجمال مع كونه مبيناً فى موضع آخر ، وكذلك المرائى ، منها ما هو صريح لا يحتاج إلى تأويل ومنها ما يحتاج . فالذى يفهمه العارف من الحق الذى يعرج عليه منها جزء من أجزاءِ النبوة ، وذلك الجزءُ يكثر مرة ويقل أُخرى بحسب فهمه . فأعلاهم من يكون بينه وبين درجة النبوة أقل ما ورد من العدد ، وأدناهم الأكثر من العدد ، ومن عداهما ما بين ذلك .

وقال القاضى عياض :

ويحتمل أَن تكون هذه التجزئة فى طرق الوحى ، إذ منه ما سمع من الله بلا واسطة ، ومنه ما جاء بواسطة الملك ، ومنه ما أَلقى فى القلب من الإلهام ، ومنه ما جاء به الملك وهو على صورته أَو على صورة آدمى معروف أَو غير معروف ، ومنه ما أَتاه به فى النوم . ومنه ما أَتاه به فى صلصلة الجرس ، ومنه ما يلقيه روح القدس فى روعه ، إلى غير ذلك مما وقفنا عليه ومما لم نقف عليه ، فتكون تلك الحالات إذا عُدَّت انتهت إلى العدد المذكور .

قال القرطبى فى « المفهم » :

ولا يخفى ما فيه من التكلف والتساهل . فإن تلك الأَعداد إنما هى أَجزاء النبوة ، وأَكثر الذى ذكره أَحوال لغير النبوة ، لكونه يعرف الملك أَو لا يعرفه ، أَو يأتيه على صورته أَو على صورة آدمى . ثم مع هذا التكلف لم يبلغ عددُ ما ذكر عشرين ، فضلاً عن سبعين

قلت : والذى نحاه القاضى سبقه إليه الحليمى ،

فقرأت فى « مختصر » للشيخ علاء الدين القونوى بخطه ما نصه : ثم إن الأَنبياءَ يختصون بآيات يؤَيدون بها عمن ليس مثلهم ، كما تميزوا بالعلم الذى أَوتوه . فيكون لهم الخصوص من وجهين :

١ - فما هو فى حيز التعليم هو النبوة .

٢ - وما هو فى حيز التأَييد هو حجة النبوة .

قال : وقد قصد الحليمى فى هذا الموضع بيان كون الرؤيا الصالحة « جزءاً من ستة وأَربعين جزءاً من النبوة » فذكر وجوهاً من الخصائص العلمية للأَنبياء تكلف فى بعضها حتى أَنهاها إلى العدد المذكور ، فتكون الرؤيا واحداً من تلك الوجوه :

فأَعلاها : تكليم الله بغير واسطة .

ثانيها : الإِلهام بلا كلام ، بل يجد علم شىء فى نفسه من غير تقدم ما يوصل إليه بحس أَو استدلال .

ثالثها : الوحى على لسان ملك يراه فيكلمه .

رابعها : نفث الملك فى رَوْعه ، وهو الوحى الذى يخص به القلب دون السمع . قال : وقد ينفث الملك فى رَوْع بعض أَهل الصلاح ، لكن بنحو : الاطماع فى الظفر بالعدو ، والترغيب فى الشىء والترهيب من الشىء ، فيزول عنه بذلك وسوسة الشيطان بحضور الملك ، لا بنحو نفى علم الأَحكام والوعد والوعيد ، فإِنه من خصائص النبوة .

خامسها : إِكمال عقله ، فلا يعرض له فيه عارض أَصلًا .

سادسها : قوة حفظه حتى يسمع السورة الطويلة فيحفظها من مرة ولا ينسى منها حرفاً .

سابعها : عصمته من الخطأ فى اجتهاده .

ثامنها : ذكاءُ فهمه حتى يتسع لضروب من الاستنباط .

تاسعها : ذكاءُ بصره حتى يكاد يبصر الشىء من أَقصى الأَرض .

عاشرها : ذكاءُ سمعه حتى يسمع من أَقصى الأَرض ما لا يسمعه غيره .

حادى عشرها : ذكاء شمه ، كما وقع ليعقوب فى قميص يوسف .

ثانى عشرها : تقوية جسده حتى سار فى ليلة مسيرة ثلاثين ليلة .

ثالث عشرها : عروجه إلى السماوات .

رابع عشرها : مجىء الوحى له فى مثل صلصلة الجرس .

خامس عشرها : تكليم الشاة .

سادس عشرها : إنطاق النبات .

سابع عشرها : إنطاق الجذع .

ثامن عشرها : إنطاق الحجر .

تاسع عشرها : إفهامه عواء الذئب أن يفرض له رزقاً .

العشرون : إفهامه رغاء البعير .

الحادية والعشرون : أن يسمع الصوت ولا يرى المتكلم .

الثانية والعشرون : تمكينه من مشاهدة الجن .

الثالثة والعشرون : تمثيل الأَشياء المغيبة له ، كما مُثِّل له بيت المقدس صبيحة الإِسراء .

الرابعة والعشرون : حدوث أَمر يعلم به العاقبة ، كما قال فى الناقة لما بركت فى الحديبية « حبسها حابس الفيل » .

الخامسة والعشرون: استدلاله باسم على أَمر ، كما قال لما جاءَهم سهيل بن عمرو : « وقد سهل لكم الأَمر ».

السادسة والعشرون : أَن ينظر شيئاً علوياً فيستدل به على أَمر يقع فى الأَرض ، كما قال : « إِن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » .

السابعة والعشرون : رؤيته من ورائه .

الثامنة والعشرون : اطلاعه على أَمر وقع لمن مات قبل أَن يموت ، كما قال فى حنظلة : « رأَيت الملائكة تغسله » وكان قتل وهو جنب .

التاسعة والعشرون : أَن يظهر له ما يستدل به على فتوح مستقبل ، كما جاءَ ذلك يوم الخندق .

الثلاثون : اطلاعه على الجنة والنار فى الدنيا .

الحادية والثلاثون : الفراسة .

الثانية والثلاثون : طواعية الشجرة حتى انتقلت بعروقها وغصونها من مكان إلى مكان ثم رجعت .

الثالثة والثلاثون : قصة الظبية وشكواها له ضرورة خشفها الصغير .

الرابعة والثلاثون : تأويل الرؤيا بحيث لا تخطىء .

الخامسة والثلاثون : الحزر فى الرطب وهو على النخل أنه يجىء كذا وكذا وسقًا من التمر ، فجاء كما قال .

السادسة والثلاثون : الهداية إلى الأحكام .

السابعة والثلاثون : الهداية إلى سياسة الدين والدنيا

الثامنة والثلاثون : الهداية إلى هيئة العالم وتركيبه .

التاسعة والثلاثون : الهداية إلى مصالح البدن بأنواع الطب .

الأربعون : الهداية إلى وجوه القربات .

الحادية والأَربعون : الهداية إلى الصناعات النافعة .

الثانية والأَربعون : الاطلاع على ما سيكون .

الثالثة والأَربعون : الاطلاع على ما كان مما لم ينقله أَحد قبله .

الرابعة والأَربعون : التوقيف على أَسرار الناس ومخبآتهم .

الخامسة والأَربعون : تعليم طرق الاستدلال .

السادسة والأَربعون : الاطلاع على طريقة التلطف فى المعاشرة .

قال : فقد بلغت خصائص النبوة فيما مرجعه العلم ستة وأَربعين وجهاً ، ليس منها وجه إلا وهو يصلح أَن يكون مقارباً للرؤيا الصالحة التى أَخبر أَنها « جزء من ستة وأَربعين جزءاً من النبوة » ، والكثير منها إن كان يقع لغير النبي ، لكنه للنبي لا يخطىء أَصلاً ، ولغيره قد يقع فيه الخطأ والله أَعلم .

وقال الغزالى فى كتاب الفقر والزهد من «الإحياء» لما ذكر حديث : « يدخل الفقراء الجنة قبل الأَغنياء بخمسمائة عام» وفى رواية : « بأَربعين سنة » قال : وهذا يدل على تفاوت درجات الفقراء ، فكان الفقير الحريص على جزء من خمسة وعشرين جزءاً من الفقير الزاهد ، لأَن هذه نسبة الأَربعين إلى الخمسمائة ، ولا يظن أَن تقدير النبى صلى الله عليه وسلم على لسانه كيفما اتفق ، بل لا ينطق إلا بحقيقة الحق . وهذا كقوله : « الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأَربعين جزءاً من النبوة» ، فإنه تقدير تحقيق ، لكن ليس فى قوة غيره أَن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين ، لأَن النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره ، وهو يختص بأَنواع من الخواص ، منها أَنه يعرف حقائق الأُمور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الآخرة ، لا كما يعلمه غيره ، بل عنده من كثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق ما ليس عند غيره . وله صفة تتم له

بها الأَفعال الخارقة للعادات التى يفارق بها الذكى البليد ، فهذه صفات كمالات ثابتة للنبى ، يمكن انقسام كل واحدة منها إلى أَقسام ، بحيث يمكننا أَن نقسمها إلى أَربعين وإلى خمسين وإلى أَكثر ، وكذا يمكننا أَن نقسمها إلى ستة وأَربعين جزءاً ، بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءاً من جملتها ، لكن لا يرجع إلا إلى ظن وتخمين ، لا أَنه أَراده النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة . انتهى ملخصاً . وأَظنه أَشار إلى كلام الحليمى فإنه مع تكلفه ليس على يقين أَن الذى ذكره هو المراد ، والله أَعلم .

وقال ابن الجوزى : لما كانت النبوة تتضمن اطلاعاً على تحقيقها فيما بعد ، وقع تشبيه رؤيا المؤمن بها . وقيل : إن جماعة من الأَنبياء كانت نبوتهم وحياً فى المنام فقط ،وأَكثرهم ابتدئ بالوحى فى المنام ، ثم رقوا إلى الوحى فى اليقظة ، فهذا بيان مناسبة تشبيه المنام الصادق بالنبوة . وأَما خصوص العدد المذكور ، فتكلم فيه

جماعة . . فذكر المناسبة الأُولى ، وهى أَن مدة وحى المنام إلى نبينا كانت ستة أَشهر وقد تقدم ما فيه ، ثم ذكر أَن الأَحاديث اختلفت فى هذا العدد المذكور .
قال : فعلى هذا تكون رؤيا المؤمن مختلفة : أَعلاها « ستة وأَربعون » وأَدناها « سبعون » . . ثم ذكر المناسبة التى ذكرها الطبرى .

وقال القرطبى فى« المفهم»: يحتمل أَن يكون المرادمن هذا الحديث : أَن المنام الصادق خصلة من خصال النبوة ،كما جاء فى الحديث الآخر : « التؤدة والاقتصاد وحسن السمت جزء من ستة وعشرين جزءاً من النبوة » ؛ أَى النبوة مجموع خصال مبلغ أَجزائها ذلك ، وهذه الثلاثة جزء منها ، وعلى مقتضى ذلك ، يكون كل جزء من الستة والعشرين ثلاثة أَشياء ، فإذا ضربنا ثلاثة فى ستة وعشرين انتهت إلى ثمانية وسبعين ، فيصح لنا عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية وسبعون . قال ويصح أَن يسمى كل اثنين منها جزءاً ، فيكون العدد بهذا الاعتبار

تسعة وثلاثين ، ويصح أَن يسمى كل أَربعة منها جزءاً ، فتكون تسعة عشر جزءاً ونصف جزءا . . فيكون اختلاف الروايات فى العدد بحسب اختلاف اعتبار الأَجزاء ، ولا يلزم منه اضطراب .

قال : وهذا أَشبه ما وقع لى فى ذلك ، مع أَنه لم ينشرح به الصدر ، ولا اطمأَنت إليه النفس .

قلت : وتمامه أَن يقول فى الثمانية والسبعين بالنسبة لرواية « السبعين » : أَلغى فيها الكسر ، وفى التسعة والثلاثين بالنسبة لرواية « الأَربعين » : جبر الكسر . ولا تحتاج إلى العدد الأَخير لما فيه من ذكر النصف ، وما عدا ذلك من الأَعداد ، قد أَشار إلى أَنه يعتبر بحسب ما يقدر من الخصال .

ثم قال : وقد ظهر لى وجه آخر ، وهو أَن النبوة معناها أَن الله يطلع من يشاء من خلقه على ما يشاء من أَحكامه ووحيه ، إما بالمكالمة وإما بواسطة الملك وإما بإلقاء فى القلب بغير واسطة . لكن هذا المعنى المسمى

بالنبوة لا يخص الله به إلا من خصه بصفات كمال نوعه من المعارف والعلوم والفضائل والآداب مع تنزهه عن النقائص ، أطلق على تلك الخصال نبوة ، كما فى حديث : « التؤدة والاقتصاد . . » أى تلك الخصال من خصال الأنبياء ، والأنبياء مع ذلك متفاضلون فيها ، كما قال تعالى : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض» (١) ومع ذلك فالصدق أعظم أوصافهم يقظة ومناماً ، فمن تأسى بهم فى الصدق حصل من رؤياه على الصدق .

ثم لما كانوا فى مقاماتهم متفاوتين كان أتباعهم من الصالحين كذلك ، وكان أقل خصال الأنبياء ما إذا اعتبر كان ستة وعشرين جزءاً وأكثرها ما يبلغ سبعين ، وبين العددين مراتب مختلفة بحسب ما اختلفت ألفاظ الروايات ، وعلى هذا فمن كان من غير الأنبياء فى صلاحه وصدقه على رتبة تناسب حال نبى من الأنبياء ، كانت رؤياه جزءاً من نبوة ذلك النبي . ولما كانت

---

(١) الإسراء : ٥٥ .

كمالاتهم متفاوتة ، كانت نسبة أَجزاء منامات الصادقين متفاوته على ما فصلناه . قال : وبهذا يندفع الاضطراب إن شاءَ الله .

وذكر الشيخ أَبو محمد بن أَبي جمهرة وجهاً آخر ملخصه : أَن النبوة لها وجوه من الفوائد الدنيوية والأَخروية: خصوصاً وعموماً ، منها ما يعلم ومنها ما لا يعلم ، وليس بين النبوة والرؤيا نسبة إلا فى كونها حقاً ، فيكون مقام النبوة بالنسبة لمقام الرؤيا ، بحسب تلك الأَعداد ، راجعة إلى درجات الأَنبياء ، فنسبتها من أَعلاهم وهو من ضم له إلى النبوة الرسالة أَكثر ما ورد من العدد ، ونسبتها إلى الأَنبياء غير المرسلين أَقل ما ورد من العدد ، وما بين ذلك ، ومن ثم أَطلق فى الخبر النبوة ولم يقيدها بنبوة نبي بعينه .

ورأَيت فى بعض الشروح أَن معنى الحديث ، أَن للمنام شبهاً بما حصل للنبي وتميز به عن غيره بجزء من ستة وأَربعن جزءاً .

فهذه عدة مناسبات لم أَر من جمعها فى موضع واحد ، فلله الحمد على ما أَلهم وعَلَّم . ولم أَقف فى شيء من الأَخبار على كون الإلهام جزءاً من أَجزاء النبوة ، مع أَنه من أَنواع الوحى ، إلا أَن ابن أَبى جمرة تعرض لشيء منه (كما سيأْتى) إن شاء الله تعالى .

* * *

أَخرج البخارى رحمه الله : عن أَبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لم يبق من النبوة إلا المبشرات » . قالوا : وما المبشرات ؟ قال :الرؤيا الصالحة »

قال الحافظ رحمه الله :

المُبَشِّرَات ـ بكسر الشين المعجمة ـ : جمع مُبَشِّرة : وهى البشرى . وقد ورد فى قوله تعالى : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » (١) : هى الرؤيا الصالحة . أَخرجه الترمذى وابن ماجه وصححه الحاكم من رواية أَبى سلمة ابن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت ، ورواته ثقات إلا أَن أَبا سلمة لم يسمعه من عبادة . وأَخرجه الترمذى أَيضاً من وجه آخر عن أَبى سلمة قال : نبئت عن عبادة . وأَخرجه أَيضاً هو وأَحمد وإِسحاق وأبو يعلى

---

(١) يونس : ٦٤ .

من طريق عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر عن عبادة . وذكر ابن أبي حاتم عن أبيه : إن هذا الرجل ليس بمعروف . وأخرجه ابن مردويه من حديث ابن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . فذكر مثله . وفى الباب عن جابر عند البزار وعن أبى هريرة عند الطبرى وعن عبد الله بن عمرو عند أبى يعلى .

والمراد بقوله : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » : الاستقبال ، أى لا يبقى . وقيل : هو على ظاهره ، لأنه قال ذلك فى زمانه ، واللام فى « النبوة » للعهد ، والمراد : نبوته ، والمعنى : لم يبق بعد النبوة المختصة بى إلا المبشرات . ثم فسرها بالرؤيا ، وصرح به فى فى حديث عائشة عند أحمد بلفظ : « لم يبق بعدى » .

وقد جاء فى حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك فى مرض موته . أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من طريق إبراهيم بن عبد الله بن معبد عن أبيه عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم كشف

الستارة ورأسه معصوب فى مرضه الذى مات فيه ، والناس صفوف خلف أَبى بكر ، فقال : « يا أَيها الناس ، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أَو تُرى له . . » الحديث .

وللنسائى من رواية زفر بن صعصعة عن أَبى هريرة رفعه أَنه : « ليس يبقى بعدى من النبوة إلا الرؤيا الصالحة » . وهذا يؤيد التأْويل الأَول . وظاهر الاستثناء مع ما تقدم ، من أَن الرؤيا جزء من أَجزاء النبوة ، أَن الرؤيا نبوة ، وليس كذلك ، لما تقدم أَن المراد تشبيه أَمر الرؤيا بالنبوة ، أَو لأَن جزء الشىء لا يستلزم ثبوت وصفه له ، كمن قال : أَشهد أَن لا إله إلا الله » رافعاً صوته لا يسمى مؤذناً ، ولا يقال إنه أَذن وإن كانت جزءاً من الأَذان . وكذا لو قرأَ شيئاً من القرآن وهو قائم لا يسمى مصلياً ، وإن كانت القراءة جزءاً من الصلاة .

ويؤيده : حديث أم كُرْز - بضم الكاف وسكون

الراء بعدها زاى ـ الكعبية قالت : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » . أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان . ولأحمد عن عائشة مرفوعاً : : لم يبق بعدى من المبشرات إلا الرؤيا » . وله وللطبرانى من حديث حذيفة بن أسيد مرفوعاً : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » . ولأبى يعلى من حديث أنس رفعه : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ولا نبي ولا رسول بعدى ولكن بقية المبشرات » . قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا المسلمين جزءٌ من أجزاء النبوة » .

قال المهلب ما حاصله :

[التعبير] بـ « المبشرات » خرج للأغلب ، فإن من الرؤيا ما تكون منذرة وهى صادقة يريها الله للمؤمن رفقاً به ، ليستعد لما يقع قبل وقوعه .

وقال ابن التين :

معنى الحديث أن الوحى ينقطع بموتى ولا يبقى ما

يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا ويرد عليه الإلهام فإن فيه إخباراً بما سيكون ، وهو للانبياء بالنسبة للوحى كالرؤيا ، ويقع لغير الأَنبياء كما فى الحديث « قد كان فيمن مضى من الأُمم محدِّثون . . . » وفسر المُحَدِّث : بالمُلْهَم . وقد أَخبر كثير من الأَولياء عن أَمور مغيبة ، فكانت كما أَخبروا . والجواب : أَن الحصر فى المنام لكونه يشمل آحاد المؤمنين ، بخلاف الإلهام ، فإنه مختص بالبعض . ومع كونه مختصاً فإنه نادر ، فإنما ذكر المنام لشموله وكثرة وقوعه ، ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « فإن يكن » ، وكان السر فى ندور الإلهام فى زمنه وكثرته من بعده . غلبه الوحى إليه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ، وإرادة إظهار المعجزات منه . فكان المناسب أَن لا يقع لغيره منه فى زمانه شيء انقطع بموته وقع الإلهام لمن اختصه الله به ، للأَمن من اللبس فى ذلك . وفى إنكار وقوع ذلك مع كثرته واشتهاره مكابرة لمن أَنكره .

(أخرج البخارى رحمه الله : عن أبى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصادقة من الله ، والحلم من الشيطان » .

وأخرج عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هى من الله ، فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هى من الشيطان ، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره »

وأخرج من طريق أخرى عن أبى قتادة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره وليستعذ بالله منه فلن يضره ».

وأخرج من طريق أخرى عن أبى قتادة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا من الله والحلم

من الشيطان . فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره ، وإن الشيطان لا يتراءى بى » .

وأخرج من طريق أخرى عن أبى سلمة قال : لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت أبا قتادة يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الحسنة من الله ، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يُحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ، وليتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً فإنها لا تضره » .

قال المهلب : سمى الشارع الرؤيا الخالصة من الأضغاث صالحة وصادقة وأضافها إلى الله . وسمى الأضغاث حلماً وأضافها إلى الشيطان ،إذ كانت مخلوقة على شاكلته ، فأَلمَّ الناس بكيده وأرشدهم إلى دفعه ، لئلا يبلغوه أربه فى تحزينهم والتهويل عليهم . وقال أبو عبد الملك :

أضيفت إلى الشيطان لكونها على هواه ومراده . وقال ابن الباقلانى : يخلق الله الرؤيا الصالحة بحضرة الملك . ويخلق الرؤيا التى تقابلها بحضرة الشيطان ، فمن ثم أَضيفت إليه . وقيل : أَضيفت إليه لأَنه الذى يخيل بها ولا حقيقة لها فى نفس الأَمر .

فحاصل ما ذكر فى أَدب الرؤيا الصالحة ثلاثة أَشياء :

* أَن يحمد الله عليها .
* أَن يستبشر بها .
* وأَن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره .

وحاصل ما ذكر من أَدب الرؤيا المكروهة أَربعة أَشياء :

* أَن يتعوذ بالله من شرها .
* ومن شر الشيطان .
* وأَن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثاً .
* ولا يذكرها لأَحد أَصلا .

ووقع عند المصنف (- يعنى البخارى -) عن أَبى هريرة خامسة وهى « الصلاة » ولفظه : « فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أَحد وليقم فليصل » . لكن لم يصرح البخارى بوصله وصرح به مسلم . وغفل القاضى أَبو بكر بن العربى فقال : زاد الترمذى على الصحيحين بالأَمر بالصلاة . انتهى .

وزاد مسلم سادسة وهى « التحول عن جنبه الذى كان عليه » فقال : حدثنا قتيبة : حدثنا ليث ، وحدثنا ابن رمح : أَنبأَنا الليث ، عن أَبى الزبير عن جابر رفعه : « إذا رأَى أَحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق على يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » . وقال قبل ذلك : حدثنا قتيبة ومحمد بن رمح عن الليث بن سعد ، وحدثنا محمد بن المثنى : حدثنا عبد الوهاب ، وحدثنا أَبو بكر بن أَبى شيبة : حدثنا عبد الله بن نمير : كلهم عن يحيي بن سعيد . وزاد ابن رمح فى هذا الحديث : « وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » . وذكر بعض

الحفاظ أَن هذه الزيادة إنما هى فى حديث الليث عن أَبى الزبير ، كما اتفق عليه قتيبه وابن رمح ، وأَما طريق يحيي بن سعيد فى حديث أَبى قتادة فليست فيه ، ولم يذكرها قتيبة . وفى الجملة ، فتكمل الأَداب ستة ، الأَربعة الماضية والصلاة والتحول .

ورأَيت فى بعض الشروح ذكر سابعة ، وهى قراءَة آية الكرسى ، ولم يذكر لذلك مستنداً ، فإن كان أَخذه من عموم قوله فى حديث أَبى هريرة : « ولا يقربنك شيطان . . » فيتجه ؛ وينبغى أَن يقرأَها فى صلاته المذكورة .

وقد ذكر العلماءَ حكمة هذه الأُمور :

فأَما الاستعاذة بالله من شرها فواضح ، وهى مشروعة عند كل أَمر يكره . وأَما الاستعاذة من الشيطان ، فلما وقع فى بعض طرق الحديث أَنها منه وأَنه يخيل بها لقصد تحزين آدمى والتهويل عليه كما تقدم .

أَما النقل فقال عياض :

أَمر به طرداً للشيطان الذى حضر الرؤيا المكروهة

تحقيراً له واستقذاراً ، وخصت به اليسار لأَنها محل الأَقذار ونحوها . قلت : والتثليث للتأكيد . وقال القاضي أَبو بكر بن العربى : فيه إشارة إلى أَنه فى مقام الرقية ، ليستقر عند النفس دفعه عنها ، وعبر فى بعض الروايات بالبصاق إشارة إلى استقذاره . وقد ورد بثلاثة : النفث والتفل والبصق .

قال النووى فى الكلام على النفث فى الرقية تبعاً لعياض :

اختلف فى النفث والتفل ، فقيل هما بمعنى ، ولا يكونان إلا بريقٍ . وقال أَبو عبيد : يشترط فى التفل ريق يسير ولا يكون فى النفث ، وقيل عكسه . وسئلت عائشة عن النفث فى الرقية فقالت : كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه . قال : ولا اعتبار بما يخرج معه بلَّة بغير قصد . قال : وقد جاءَ فى حديث أَبى سعيد فى الرقية بفاتحة الكتاب : « فجعل يجمع بزاقه » .

قال عياض : وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء ، والنفث للمباشر للرقية المقارن للذكر الحسن ، كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأَسماء .

وقال النووى أيضاً :

أكثر الروايات فى الرؤيا : « فلينفث » وهو نفخ لطيف بلا ريق ، فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازاً . قلت : لكن المطلوب فى الموضعين مختلف ، لأن المطلوب فى الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم ، والمطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره ، كما نقله هو عن عياض كما تقدم . فالذى يجمع الثلاثة الحمل على التفل ، فإنه نفخ معه ريق لطيف . فبالنظر إلى النفخ قيل له : نفث ، وبالنظر إلى الريق قيل له : بصاق .

قال النووى :

وأما قوله : « فإنها لا تضره » فمعناه أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا ، كما جعل الصدقة وقاية للمال . انتهى .

وأما الصلاة ، فلما فيها من التوجه إلى الله واللجأ إليه ، ولأن فى التحرم بها عصمة من الأسواء ، وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة ، لقرب المصلى من ربه عند سجوده

وأما التحول ، فللتفاؤل بتحول تلك الحال التى كان عليها .

قال النووى :

وينبغى أن يجمع بين هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته ، فإن اقتصر على بعضها أجزأه فى دفع ضررها بإذن الله تعالى ، كما صرحت به الأحاديث

قلت : لم أر فى شيء من الأحاديث الاقتصار على واحدة . نعم أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية فى دفع شرها ، وكأنه أخذه من قوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » (١) فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحة التوجه ، ولا يكفى إمرار الاستعاذة باللسان .

وقال القرطبى فى « المفهم » :

الصلاة تجمع ذلك كله ، لأنه إذا قام فصلى تحول

---

(١) النحل : ٩٨ : ٩٩ .

عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة فى الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله فى أقرب الأحوال إليه ، فيكفيه الله شرها بمنه وكرمه .

وورد فى صفة التعوذ من شر الرؤيا أثر صحيح أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد الرزاق باسانيد صحيحة عن إبراهيم النخعى قال : إذا رأى أحدكم فى منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ : أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياى هذه أن يصيبنى فيها ما أكره فى دينى ودنياى .

وورد فى الاستعاذة من التهويل فى المنام ما أخرجه مالك قال : بلغنى أن خالد بن الوليد قال : يا رسول الله ، إنى أُرَوَّع فى المنام فقال : « قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعذابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » . وأخرجه النسائى من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان خالد بن الوليد يفزع فى منامه . . فذكر نحوه زاد فى أوله :

« إذا اضطجعت فقل باسم الله . . » فذكره . وأَصله عند أَبى داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه .

واستثنى الداودى من عموم قوله :

« إذا رأَى ما يكره » ما يكون فى الرؤيا الصادقة ، لكونها قد تقع إنذاراً كما تقع تبشيراً ، وفى الإنذار نوع ما يكرهه الرائى ، فلا يشرع إذا عرف أَنها صادقة ما ذكره من الاستعاذة ونحوها . واستند إلى ما ورد من مرائى النبي صلى الله عليه وسلم كالبقر التى تنحر ونحو ذلك .

ويمكن أَن يقال : لا يلزم من ترك الاستعاذة فى الصادقة أَن لا يتحول عن جنبه ، ولا أَن لا يصلى ، فقد يكون ذلك سبباً لدفع مكروه الإنذار مع حصول مقصود الإنذار . وأَيضاً فالمنذورة قد ترجع إلى معنى المبشرة ، لأَن من أَنذر بما سيقع له ، ولو كان لأَيسره ، أَحسن حالاً ممن هجم عليه ذلك ، فإنه ينزعج ما لا ينزعج من كان يعلم بوقوعه ، فيكون ذلك تخفيفا عنه ورفقاً به .

قال الحكيم الترمذى :

الرؤيا الصادقة أَصلها حق ، تخبر عن الحق ، وهو بشرى وإنذار ومعاتبة ، لتكون عوناً لما ندب إليه . قال : وقد كان غالب أُمور الأَولين الرؤيا ، إلا أَنها قلَّت فى هذه الأُمة لعظم ما جاءَ به نبيها من الوحى ، ولكثرة من فى أُمته من الصديقين من المحدَّثين - بفتح الدال - وأَهل اليقين ، فاكتفوا بكثرة الإِلهام والملهمين عن كثرة الرؤيا التى كانت فى المتقدمين .

وقال القاضى عياض :

يحتمل قوله : « الرؤيا الحسنة » و « الصالحة » أَن يرجع إلى حسن ظاهرها أَو صدقها ، كما أَن قوله « الرؤيا المكروهة » أَو « السوء » يحتمل سوء الظاهر أَو سوء التأويل . وأَما كتمها مع أَنها قد تكون صادقة فخفيت حكمته ، ويحتمل أَن يكون لمخافة تعجيل اشتغال سر الرائى بمكروه تفسيرها ، لأَنها قد تبطىء ، فإِذا لم يخبر بها زال تعجيل روعها وتخويفها ، ويبقى إذا لم يعبرها له أَحد بين الطمع فى أَن لها تفسيراً

حسناً ، أَو الرجاءِ فى أَنها من الأَضغاث ، فيكون ذلك أَسكن لنفسه .

واستدل بقوله : « ولا يذكرها » على أَن الرؤيا تقع على ما يعبر به . واستدل به على أَن للوهم تأْثيراً فى النفوس لأَن التفل وما ذكر معه يدفع الوهم الذى يقع فى النفس من الرؤيا . فلو لم يكن للوهم تأثير لما أَرشد إلى ما يدفعه ، وكذا فى النهى عن التحديث بما يكره والأَمر بالتحديث بما يحب لمن يحب .

[و] قوله فى حديث أَبى سعيد : « وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هى من الشيطان » ، ظاهر الحصر أَن الرؤيا الصالحة لا تشتمل على شيءٍ مما يكرهه الرائى ، ويؤيده مقابلة رؤيا البشرى بالحلم وإضافة الحلم إلى الشيطان . وعلى هذا ففى قول أَهل التعبير ومن تبعهم : أَن الرؤيا الصادقة قد تكون بشرى وقد تكون إنذاراً نظر ، لأَن الإنذار غالباً يكون فيما يكره الرائى . ويمكن الجمع بأَن الإنذار لا يستلزم وقوع المكروه كما تقدم

تقريره ، وبأن المراد بما يكره ما هو أعم من ظاهر الرؤيا ومما تعبر به .

وقال القرطبي فى « المفهم » :

ظاهر الخبر أن هذا النوع من الرؤيا - يعنى ما كان فيه تهويل أو تخويف أو تحزين - هو المأمور بالاستعاذة منه ، لأنه من تخيلات الشيطان ، فإذا استعاذ الرائى منه صادقاً فى التجائه إلى الله وفعل ما أمر به ، من التفل والتحول والصلاة ، أذهب الله عنه ما به وما يخافه من مكروه ذلك ولم يصبه منه شيء . وقيل : بل الخبر على عمومه فيما يكرهه الرائى بتناول ما يتسبب به الشيطان وما لا تسبب له فيه ، وفعل الأمور المذكورة مانع من وقوع المكروه ، كما جاء أن الدعاء يدفع البلاء ، والصدقة تدفع ميتة السوء ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، ولكن الأسباب عادات لا موجودات . وأما ما يرى أحياناً مما يعجب الرائى ولكنه لا يجده فى اليقظة ولا ما يدل عليه ، فإنه يدخل فى قسم آخر ، وهو ما كان الخاطر به مشغولاً قبل النوم ، ثم يحصل النوم فيراه ، فهذا قسم لا يضر ولا ينفع .

[أَخرج البخارى رحمه الله : عن أَبى هريرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى » . قال أَبو عبد الله : قال ابن سيرين : إذا رآه فى صورته .

وأَخرج عن أَنس رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثل بى . ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأَربعين جزءاً من النبوة » .

وأَخرج عن أَبى قتادة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان ، فمن رأَى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً ، وليتعوذ من الشيطان ، فإنها لا تضره ، وإن الشيطان لا يتراءى بى » .

وأَخرج أَيضاً عن أَبى قتادة رضى الله عنه قال :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فقد رأى الحق » .

وأخرج عن أبى سعيد الخدرى : سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من رآنى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكونني » .

قال الحافظ رحمه الله :

قوله : قال أبو عبد الله : قال ابن سيرين : إذا رآه فى صورته . . رويناه موصولاً من طريق إسماعيل ابن إسحاق القاضى عن سليمان بن حرب – وهو من شيوخ البخارى – عن حماد بن زيد عن أيوب قال : كان محمد – يعنى ابن سيرين – إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال : صف لى الذى رأيته ؟ فإن وصف له صفة لا يعرفها قال : لم تره . وسنده صحيح .

ووجدت له ما يؤيده : فأخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب : حدثنى أبى قال : قلت لابن عباس :

رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام قال : صفه لى ؟ قال : ذكرت الحسن بن على فشبهته به . قال : قد رأيته . وسنده جيد . ويعارضه : ما أخرجه ابن أبى عاصم من وجه آخر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإنى أُرَى فى كل صورة » . وفى سنده « صالح » مولى التوأمة ، وهو ضعيف لاختلاطه ، وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط .

ويمكن الجمع بينهما بما قال القاضى أبو بكر ابن العربى : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ، إدراك على الحقيقة ، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال . فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض ، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة ، وإدراك الصفات إدراك المثل . قال : وشذ بعض القدرية فقال : الرؤيا لا حقيقة لها أصلاً ، وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعينى الرأس حقيقة . وقال بعض المتكلمين : هى مدركة بعينين فى القلب .

قال : وقوله : « فسيرانى » معناه : فسيرى تفسير ما رأى ، لأنه حق وغيبَ أُلقى فيه . وقيل : معناه : فسيرانى فى القيامة ، ولا فائدة فى هذا التخصيص . وأما قوله : « فكأنما رآنى » فهو تشبيه ، ومعناه أنه لو رآه فى اليقظة لطابق ما رآه فى المنام ، فيكون الأول حقاً وحقيقة ، والثانى حقاً ومثالاً .

قال : وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة . فإن رآه على خلاف صفته ، فهى أمثال . فإن رآه مقبلاً عليه مثلاً فهو خير للرائى وفيه ، وعلى العكس فالعكس .

وقال النووى :

قال عياض : يحتمل أن يكون المراد بقوله : « فقد رآنى » أو « فقد رأى الحق » ، أن من رآه على صورته فى حياته كانت رؤياه حقاً ، ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تأويل . وتعقبه فقال : هذا ضعيف ، بل الصحيح أنه يراه حقيقة ، سواء كانت على صورته المعروفة أو غيرها . انتهى .

ولم يظهر لى من كلام القاضى ما ينافى ذلك ، بل ظاهر قوله أنه يراه حقيقة فى الحالين ، لكن فى الأُولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج إلى تعبير ، والثانية مما يحتاج إلى التعبير .

قال القرطبي :

اختلف فى معنى الحديث ، فقال قوم : هو على ظاهره ، فمن رآه فى النوم رأى حقيقته ، كمن رآه فى اليقظة سواء . قال : وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول ، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التى مات عليها ، وأن لا يراه رائيان فى آن واحد فى مكانين ، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشى فى الأسواق ، ويخاطب الناس ويخاطبوه . ويلزم فى ذلك أن يخلو قبره من جسده ، فلا يبقى [من قبره فيه شيء] ، فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب ، لأنه جائز أن يرى فى الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته فى غير قبره . وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل .

وقالت طائفة :

معناه : أَن من رآه رآه على صورته التى كان عليها . ويلزم منها أَن من رآه على غير صفته أَن تكون رؤياه من الأَضغاث . ومن المعلوم أَنه يرى فى النوم على حالة تخالف حالته فى الدنيا ، من الأَحوال اللائقة به ، وتقع تلك الرؤيا حقاً ، كما لو روًى ملأً داراً بجسمه مثلاً ، فإنه يدل على امتلاءِ تلك الدار بالخير . ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيءٍ مما كان عليه ، أَو ينسب إليه ، لعارض عموم قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بى » . فالأَولى أَن تنزه رؤياه ، وكذا رؤيا شيءٍ منه ، أَو مما ينسب إليه عن ذلك ، فهو أَبلغ فى الحرمة وأَليق بالعصمة ، كما عصم من الشيطان فى يقظته .

قال : والصحيح فى تأويل هذا الحديث أَن مقصوده ، أَن رؤيته فى كل حالة ليست باطلة ولا أَضغاثا ، بل هى حق فى نفسها . ولو روى على غير صورته ، فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان ،

بل هو من قبل الله . وقال : وهذا قول القاضى أَبى بكر ابن الطيب وغيره . ويؤيده قوله : « فقد رأى الحق » : أَى رأَى الحق الذى قصد إِعلام الرائى به ، فكانت على ظاهرها ، وإلا سعى فى تأْويلها ، ولا يهمل أَمرها ، لأَنها إِما بشرى بخير أَو إِنذار من شر ؛ إما ليخيف الرائى ، وإما لينزجر عنه ، وإِما لينبه على حكم يقع له فى دينه أَو دنياه .

وقال ابن بطال :

قوله : « فسيرانى فى اليقظة » ، يريد تصديق تلك الرؤيا فى اليقظة وصحتها وخروجها على الحق ، وليس المراد أَنه يراه فى الآخرة ، لأَنه سيراه يوم القيامة فى اليقظة ، فتراه جميع أمته ، من رآه فى النوم ومن لم يره منهم .

وقال ابن التين :

المراد من آمن به فى حياته ولم يره ، لكونه حينئذ غائباً عنه ، فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره ، أَنه لابد أَن يراه فى اليقظة قبل موته ،

قاله القزاز . وقال المازرى : إن كان المحفوظ : « فكأنما رآنى فى اليقظة » فمعناه ظاهر ، وإن كان المحفوظ : « فسيرانى فى اليقظة » احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه ، فإنه إذا رآه فى المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك فى اليقظة ، وأوحى الله بذلك إليه صلى الله عليه وسلم .

وقال القاضى :

وقيل معناه : سيرى تأويل تلك الرؤيا فى اليقظة وصحتها . وقيل : معنى الرويا فى اليقظة أنه سيراه فى الآخرة ، وتعقب بأنه فى الآخرة يراه جميع أمته ، من رآه فى المنام ومن لم يره ، يعنى فلا يبقى لخصوص رويته فى المنام مزية . وأجاب القاضى عياض : باحتمال أن تكون رؤياه له فى النوم على الصفة التى عرف بها ووصف عليها ، موجبة لتكرمته فى الآخرة ، وأن يراه روية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات . قال : ولا يبعد أن

يعاقب الله بعض المذنبين فى القيامة ، بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة .

وحمله ابن أَبى جمرة على محمل آخر ، فذكر عن ابن عباس أَو غيره ، أَنه رأَى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فبقى بعد أَن استيقظ متفكراً فى هذا الحديث ، فدخل على بعض أُمهات المؤمنين ، ولعلها خالته ميمونة ، فأَخرجت له المرآة التى كانت للنبى صلى الله عليه وسلم ، فنظر فيها ، فرأَى صورة النبى صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه . ونقل عن جماعة من الصالحين أَنهم رأَوا النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ثم رأَوه بعد ذلك فى اليقظة ، وسأَلوه عن أَشياء كانوا منها متخوفين ، فأَرشدهم إلى طريق تفريجها ، فجاءَ الأَمر كذلك .

قلت : وهذا مشكل جداً ، ولو حمل على ظاهره لكان هؤُلاءِ صحابة . ولأَمكن بقاءِ الصحبة إلى يوم القيامة . ويعكر عليه أَن جمعاً جماً رأَوه فى المنام ، ثم لم يذكر واحد منهم أَنه رآه فى اليقظة ، وخبر الصادق

لا يتخلف . وقد اشتد إنكار القرطبى على من قال : من رآه فى المنام فقد رأى حقيقته ، ثم يراها كذلك فى اليقظة ، كما تقدم قريباً .

وقد تفطن ابن أبى جمرة لهذا فأحال بما قال على كرامات الأولياء ، فإن يكن كذلك تعين العدول عن العموم فى كل راء . ثم ذكر أنه عام فى أهل التوفيق ، وأما غيرهم فعلى الاحتمال ، فإن خرق العادة قد يقع للزنديق بطريق الإملاء والإغواء ، كما يقع للصديق بطريق الكرامة والإكرام ، وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة . انتهى .

والحاصل من الأجوبة ستة :

أحدها : أنه على التشبيه والتمثيل ، ودل عليه قوله فى الرواية الأخرى : « فكأنما رآنى فى اليقظة » [— كما وقع عند ابن ماجه من حديث أبى جحيفة ، وكما وقع عند مسلم أيضاً على الشك —] .

ثانيها : أن معناها : سيرى فى اليقظة تأويلها ، بطريق الحقيقة أو التعبير .

ثالثها : أَنه خاص بأَهل عصره ممن آمن به قبل أَن يراه .

رابعها : أَنه يراه فى المرآة التى كانت له إن أَمكنه ذلك ، وهذا من أَبعد المحامل .

خامسها : أَنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية ، لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره فى المنام .

سادسها : أَنه يراه فى الدنيا حقيقة ويخاطبه ، وفيه ما تقدم من الإشكال .

وقال القرطبى :

قد تقرر أَن الذى يرى فى المنام أَمثلة للمرئيات لا أنفسها ، غير أَن تلك الأَمثلة تارة تقع مطابقة وتارة يقع معناها . فمن الأَول : روياه صلى الله عليه وسلم عائشة ، وفيه : « فإذا هى أَنت » . فأَخبر أَنه رأَى فى اليقظة ما رآه فى نومه بعينه . ومن الثانى : رؤيا البقر التى تنحر . والمقصود بالثانى التنبيه على معانى تلك الأُمور .

ومن فوائد رؤيته صلى الله عليه وسلم تسكين شوق الرائى ، لكونه صادقاً فى محبته ، ليعمل على مشاهدته ، وإلى ذلك الإشارة بقوله : « فسيرانى فى اليقظة » . أى من رآنى روية معظم لحرمتى ومشتاق إلى مشاهدته ، وصل إلى رؤية محبوبه ، وظفر بكل مطلوبه .

قال : ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته ، وهو دينه وشريعته ، فيعبر بحسب ما يراه الرائى من زيادة ونقصان ، أو إساءة وإحسان . قلت : وهذا جواب سابع ، والذى قبله لم يظهر لى ، فإن ظهر فهو ثامن .

[و] قوله : « ولا يتمثل الشيطان بى » . وفى رواية أنس فى الحديث الذى بعده : فإن الشيطان لا يتمثل بى » ، و [- عند البخارى -] فى كتاب العلم من حديث أبى هريرة مثله ، لكن قال : « لا يتمثل فى صورتى » . وفى حديث جابر عند مسلم وابن ماجه : « إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل بى » . وفى حديث

ابن مسعود عند الترمذى وابن ماجه : « إن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بى » . وفى حديث أبى قتادة الذى يليه : « وإن الشيطان لا يتراءى » - بالراء - بوزن يتعاطى ، ومعناه : لا يستطيع أن يصير مرئياً بصورتى . وفى رواية غير أبى ذر [- يعنى لصحيح البخارى -] : « يتزايا » بزاى وبعد الألف تحتانية . وفى حديث أبى سعيد فى آخر الباب : « فإن الشيطان لا يتكوننى » .

أما قوله : « لا يتمثل بى » فمعناه : لا يتشبه بى . وأما قوله : « فى صورتى » فمعناه : لا يصير كائناً فى مثل صورتى . وأما قوله : « لا يتراءى بى » فرجح بعض الشراح رواية الزاى عليها ؛ أى لا يظهر فى زيى ، وليست الرواية الأخرى ببعيدة من هذا المعنى .

وأما قوله : « لا يتكوننى » : أى لا يتكون كونى ، فحذف المضاف ووصل المضاف إليه بالفعل ، والمعنى : لا يتكون فى صورتى . فالجميع راجع إلى معنى واحد . وقوله : « لا يستطيع » يشير إلى أن الله تعالى وإن

أَمكنه من التصور فى أَى صورة أَراد ، فإنه لم يمكنه من التصور فى صورة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا فى الحديث : إن محل ذلك إذا رآه الرائى على صورته التى كان عليها . ومنهم من ضيق الغرض فى ذلك حتى قال : لا بد أَن يراه على صورته التى قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التى لم تبلغ عشرين شعرة . والصواب التعميم فى جميع حالاته ، بشرط أَن تكون صورته الحقيقة فى وقت ما ، سواء كان فى شبابه أَو رجوليته أَو كهوليته أَو آخر عمره . وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائى .

قال المازرى :

اختلف المحققون فى تأويل هذا الحديث . فذهب القاضى أَبو بكر بن الطيب إلى أَن المراد بقوله : « من رآنى فى المنام فقد رآنى » أَن رؤياه صحيحة لا تكون أَضغاثاً ولا من تشبيهات الشيطان . قال : ويعضده قوله فى بعض طرقه : « فقد رأَى الحق » .

قال : وفى قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بى » إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثاً .

ثم قال المازرى :

وقال آخرون : بل الحديث محمول على ظاهره ، والمراد أن من رآه فقد أدركه ، ولا مانع يمنع من ذلك ، ولا عقل يحيله حتى يحتاج إلى حرف الكلام عن ظاهره . وأما كونه قد يرى على غير صفته ، أو يرى فى مكانين مختلفين معاً ، فإن ذلك غلط فى صفته وتخيل لها على غير ما هى عليه . وقد يظن بعض الخياليات مرئيات ، لكون ما يتخيل مرتبطاً بما يرى فى العادة ، فتكون ذاته صلى الله عليه ومسلم مرئية ، وصفاته متخيلة غير مرئية . والإدراك لا يشترط فيه تحديق البصر ولا قرب المسافة ولا كون المرئى ظاهراً على الأرض أو مدفوناً ، وإنما يشترط كونه موجوداً ، ولم يقم دليل على فناء جسمه صلى الله عليه وسلم ، بل جاء فى الخبر الصحيح ما يدل على بقائه ، وتكون ثمرة اختلاف الصفات اختلاف الدلالات ، كما قال

بعض علماء التعبير : إن رآه شيخاً فهو عامُ سلْمٍ ، أَو شاباً فهو عام حرب . ويؤخذ من ذلك ما يتعلق بأَقواله ، كما لو رآه أَحد يأمره بقتل من لا يحل قتله ، فإن ذلك يحمل على الصفة المتخيلة لا المرئية .

وقال القاضي عياض :

يحتمل أَن يكون معنى الحديث : إذا رآه على الصفة التي كان عليها في حياته ، لا على صفة مضادة لحاله ، فإن رؤى على غيرها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة ، فإن من الرؤيا ما يخرج على وجهه ومنها ما يحتاج إلى تأويل .

وقال النووى :

هذا الذى قاله القاضي ضعيف ، بل الصحيحة أَنه يراه حقيقة . سواء كانت على صفته المعروفة أَو غيرها ، كما ذكره المازرى . وهذا الذى رده الشيخ [ورد] عن محمد بن سيرين إمام المعمرين اعتباره ، والذى قاله القاضي توسط حسن . ويمكن الجمع بينه وبين

ما قاله المازرى بأَن تكون رؤياه على الحالين حقيقة ، لكن إذا كان على صورته كأَن يرى فى المنام على ظاهره لا يحتاج إلى تعبير ، وإذا كان على غير صورته كان النقص من جهة الرائى ، لتخيله الصفة على غير ما هى عليه ، ويحتاج ما يراه فى ذلك المنام إلى التعبير . وعلى ذلك جرى علماءُ التعبير فقالوا : إذا قال الجاهل : رأَيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه يسأَل عن صفته ، فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه ، وأَشاروا إلى ما إذا رآه على هيئة تخالف هيئته مع أَن الصورة كما هى . فقال أَبو سعد أَحمد بن محمد ابن نصر : من رأَى نبياً على حاله وهيئته ، فذلك دليل على صلاح الرائى وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ، ومن رآه متغير الحال عابساً مثلاً ، فذاك دال على سوءِ حال الرائى .

ونحا الشيخ أَبو محمد بن أَبى جمرة إلى ما اختاره النووى فقال بعد أَن حكى الخلاف . ومنهم من قال : إن الشيطان لا يتصور على صورته أَصلاً ، فمن

رآه فى صورة حسنة فذاك حسن فى دين الرائى ، وإن كان فى جارحة من جوارحه شين أَو نقص . فذاك خلل فى الرائى من جهة الدين . قال : وهذا هو الحق ، وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأَسلوب ، وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه ، حتى يتبين للرائى : هل عنده خلل أَو لا ؟ لأَنه صلى الله عليه وسلم نورانى مثل المرآة الصقيلة ، ما كان فى الناظر إليها من حسن أَو غيره ، تصور فيها وهى فى ذاتها على أَحسن حال لا نقص فيها ولا شين . وكذلك يقال فى كلامه صلى الله عليه وسلم فى النوم أَنه يعرض على سنته ، فما وافقها فهو حق ، وما خالفها فالخلل فى سمع الرائى . فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل إنما هو فى سمع الرائى أَو بصره . قال : وهذا خير ما سمعته فى ذلك .

ثم حكى القاضى عياض عن بعضهم قال :

خص الله نبيه بعموم رؤياه كلها ؛ ومنع الشيطان أَن يتصور فى صورته ، لئلا يتذرع بالكذب على

لسانه فى النوم . ولما خرق الله العادة للأنبياء للدلالة على صحة حالهم فى اليقظة ، واستحال تصور الشيطان على صورته فى اليقظة ، ولا على صفة مضادة لحاله ، إذ لو كان ذلك لدخل اللبس بين الحق والباطل ، ولم يوثق بما جاء من جهة النبوة ، حمى الله حماها لذلك من الشيطان وصوره وإلقائه وكيده . وكذلك حمى رؤياهم أنفسهم ورؤيا غير النبي للنبي ، عن تمثيل بذلك لنصح رؤياه فى الوجهين ويكون طريقاً إلى علم صحيح لا ريب فيه ، ولم يختلف العلماءُ فى جواز رؤية الله تعالى فى المنام . . . وساق الكلام على ذلك .

قلت : ويظهر لى فى التوفيق بين جميع ما ذكروه ؛ أن من رآه على صفة أو أكثر مما يختص به فقد رآه ولو كانت سائر الصفات مخالفة . وعلى ذلك فتتفاوت رؤيا من رآه ، فمن رآه على هيئته الكاملة فرؤياه الحق الذى لا يحتاج إلى تعبير ، وعليها يتنزل قوله : « فقد رأى الحق » . ومهما نقص من صفاته فيدخل

التأويل بحسب ذلك . ويصح إطلاق أن كل من رآه في أي حالة كانت من ذلك فقد رآه حقيقة .

وقال الطيبي :

المعنى : من رآني في المنام بأي صفة كانت فليستبشر ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التي هي من الله وهي مبشرة ، لا الباطل الذي هو الحلم المنسوب للشيطان ، فإن الشيطان لا يتمثل بي . وكذا قوله : « فقد رأى الحق » : أي رؤية الحق لا الباطل . وكذا قوله : « فقد رآني » ، فإن الشرط والجزاء إذا اتحدا دلَّ على الغاية في الكمال ؛ أي فقد رآني رؤيا ليس بعدها شيء .

وذكر الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه :

أنه يؤخذ من قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » أن من تمثلت صورته صلى الله عليه وسلم في خاطره من أرباب القلوب ، وتصورت له في عالم سره ، أنه يكلمه أن ذلك يكون حقاً ، بل ذلك أصدق من رأى غيرهم ، لما من الله به عليهم من تنوير قلوبهم . انتهى .

وهذا المقام الذى أشار إليه هو الإلهام ، وهو من جملة أَصناف الوحى إلى الأَنبياءِ ، ولكن لم أَر فى شىء من الأَحاديث وصفه بما وصفت به الرؤيا ، أَنه جزء من النبوة . وقد قيل فى الفرق بينهما : إن المنام يرجع إلى قواعد مقررة ، وله تأَويلات مختلفة ، ويقع لكل أَحد ، بخلاف الإلهام ، فإنه لا يقع إلا للخواص ، ولا يرجع إلى قاعدة يميز بها بينه وبين لمة الشيطان .

وتعقب : بأَن أَهل المعرفة بذلك ذكروا أَن الخاطر الذى يكون من الحق يستقر ولا يضطرب ، والذى يكون من الشيطان يضطرب ولا يستقر . فهذا إن ثبت كان فارقًا واضحًا . ومع ذلك فقد صرح الأئمة بأَن الأَحكام الشرعية لا تثبت بذلك .

قال أَبو المظفر بن السمعانى فى « القواطع » :

بعد أَن حكى عن أَبى زيد الدبوسى ـ من أَئمة الحنفية أَن الإلهام ما حرك القلب لعلم يدعو إلى العمل به من غير استدلال : والذى عليه الجمهور ، أَنه لا يجوز

العمل به إلا عند فقد الحجج كلها فى باب المباح .
وعن بعض المبتدعة أنه حجة ، واحتج بقوله تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » (١) ، وبقوله : « وأوحى ربك إلى النحل » (٢) : أى ألهمها حتى عرفت مصالحها ، فيؤخذ منه مثل ذلك للآدمى بطريق الأولى . . وذكر فيه ظواهر أخرى . ومنه الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن » ، وقوله لوابصة : « ما حاك فى صدرك فدعه وإن أفتوك » ، فجعل شهادة قلبه حجة مقدمة على الفتوى . وقوله : « قد كان فى الأمم محدَّثون » فثبت بهذا أن الإلهام حق ، وأنه وحى باطن ، وإنما حُرِمَهُ العاصى لاستيلاءِ وحى الشيطان عليه .

قال : وحجة أهل السنة الآيات الدالة على اعتبار الحجة والحث على التفكر فى الآيات والاعتبار والنظر

---

(١) الشمس : ٨ .
(٢) النحل : ٦٨ .

فى الأدلة وذم الأمانى والهواجس والظنون . . وهى كثيرة مشهورة . وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان وقد يكون من النفس ، وكل شىء احتمل أن لا يكون حقاً لم يوصف بأنه حق .

قال : والجواب عن قوله : « فألهمها فجورها وتقواها » (١) : أن معناه عَرَّفها طريق العلم ، وهو الحجج . وأما الوحى إلى النحل فنظيره فى الآدمى فيما يتعلق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش . وأما الفراسة فنسلمها ، لكن لا تجعل شهادة القلب حجة لأنا لا نتحقق كونها من الله أو من غيره . انتهى ملخصاً .

قال ابن السمعانى :

وإنكار الإلهام مردود ، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به ، ولكن التمييز بين الحق والباطل فى ذلك ، أن كل من استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن فى الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول ، وإلا فمردود يقع

---

(١) الشمس : ٨ .

من حديث النفس ووسوسة الشيطان . ثم قال : ونحن لا ننكر أَن الله يكرم عبده بزيادة نور منه ، يزداد به نظره ويقوى به رأيه ، وإنما ننكر أَن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أَصله ، ولا نزعم أَنه حجة شرعية ، وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده ، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة . انتهى . ويؤخذ من هذا ما تقدم التنبيه عليه أَن النائم لو رأَى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بشيء : هل يجب عليه امتثاله ولابد ؟ أَو لابد أَن يعرضه على الشرع الظاهر ؟ فالثانى هو المعتمد كما تقدم .

قال الحافظ رحمه الله :

جوز أَهل التعبير رؤية البارى عز وجل فى المنام مطلقاً . ولم يجروا فيها الخلاف فى رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم . وأَجاب بعضهم عن ذلك بأُمور قابلة للتأويل فى جميع وجوهها ، فتارة يعبر بالسلطان وتارة بالولد وتارة بالسيد وتارة بالرئيس فى أَى فن كان ، فلما كان الوقوف على حقيقة ذاته ممتنعاً ، وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب ، كانت رؤياه تحتاج إلى تعبير دائماً ، بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا رؤى على صفته المتفق عليها ، وهو لا لا يجوز عليه الكذب ، كانت فى هذه الحالة حقاً محضاً لا يحتاج إلى تعبير .

وقال الغزالى :

ليس معنى قوله · « رآنى » أَنه رأى جسمى وبدنى ، وإنما المراد أَنه رأى مثالاً صار ذلك المثال آلة يتأَدى

بها المعنى الذى فى نفسى إليه ، وكذلك قوله : « فسيرانى فى اليقظة » ، ليس المراد أنه يرى جسمى وبدنى . قال : والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل ، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه ، بل هو مثال له على التحقيق .

قال : ومثل ذلك من يرى الله سبحانه وتعالى فى المنام ، فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة ، ولكن تنتهى تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ، ويكون ذلك المثال حقاً فى كونه واسطة فى التعريف ، فيقول الرائى : رأيت الله فى المنام ، لا يعنى أنى رأيت ذات الله تعالى ، كما يقول فى حق غيره .

وقال أبو القاسم القشيرى ما حاصله :

إن رؤياه على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو ، فإنه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه ، وهو

يعتقد أَنه منزه عن ذلك ، لا يقدح فى رؤيته ، بل يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل ، كما قال الواسطى : من رأَى ربه على صورة شيخ كان إشارة إِلى وقار الرائى . . وغير ذلك .

* * *

بيـــان

هــذا الكتـــاب

مختـــار من شرح الامـــام العـــلاءة الحـــافظ ابن حجر العسقلانى

عـلى صحيـح الامـام البخـارى :

« فتح البارى شرح صحيح البخارى »

وتم مراجعة الأحاديث والأيات وضبط النص



« والله يقول الحق ويهدى إلى صراط مستقيم »

« النـــاشر »